

قراءة نقدية في ثرثرة قد تهكم او لا تهكم



نعمة السوداني

مسرحية : ثرثرة قد تهكم او لا تهكم

تأليف : عزالدين طابو

اخراج : ثامر صادق الشكرجي

الموسيقى والعزف والغناء : لطيف علي الدبو

السينوغرافيا : محمد السوداني

تمثيل : حسن علي الدبو

بالإضافة الى الفنان اثير العزاوي

في مهرجان ايام الرافدين الثقافية العراقية السادس في برلين ومن ضمن الفعاليات الفنية التي قدمت على خشبة المسرح..قدمت فرقة مسرح اور عملها المسرحي ثرثرة قد تهكم او لاتهمك وهي من تاليف الفنان عز الدين طابو وهي من اعمال -- المونودراما -- والتي قدم فيها الفنان حسن علي الدبو العرض وعلى مدى ساعة من الزمن .

ان فن -- مسرح المونودراما -- الذي يعتبر عرض الشخص الواحد او الممثل الواحد يعتمد بالدرجة الاساس على القيم الفنية العالية التي يكتنز بها بنك الممثل -- او منظومة الحواس-- والجسد في الاداء المسرحي ومهارة الانتقال من حالة الى اخرى من دور الى دور في عملية التقمص لحالات متعددة في امكنة وازمنة مختلفة وان يجلب العالم في راحة يديه ويضعه على خشبة المسرح امام عيون المتفرجين , واهمية هذا الفن تنطلق من كون الممثل عليه ان يحاكي او يخاطب شخصيات ويوحى للمتفرج بانها موجودة وهي ليست حاضرة انما هي غائبة ولكنه يضعها في دائرة العلاقات التي يرسمها المخرج وينفذها مع مكونات العناصر المسرحية في الفضاء المسرحي وتعتبر هي مكملة لأدوات العرض كما في الحوارات التي تعبر عن محتوى المكان او الزمان وكما هو الحال في سينوغرافيا العرض كما في الاضاءة واستخدام المؤثرات السمعية بالاضافة الى الملابس والاكسسوارات والتي تساهم ايضا في عملية الانتقال من جو الى اخر او من مشهد الى اخر ...

وفي عروض المونودراما يتم التركيز على قدرات واداء الممثل اكثر من العناصر الاخرى الباقية التي تاتي مكملة حسب سياق البنية الدرامية في العرض المسرحياي يكون الممثل البارع هو المسؤول عن لغة العرض المسرحي وعلى تقديم مكونات الصورة او النص البصري بعد عملية فنية يتم فيها ازاحة اي شيء يعتبر غامض او غير مفهوم ليقدم للمتفرج ما هو مشهدي في تقديم متوازن لصالح العرض المسرحي ...

في هذا العرض -- ثرثرة قد تهكم او لاتهمك -- المختلف في المسرح ان المونودراما لاتتحمل الحوارات الكثيرة انما يساهم النص البصري الى حد ما بتحويل النص الادبي الى نص عرض بصري اي من خلال قصيدة شعر او قصة او تداعيات الى اخره ... لكننا نشاهد في هذا العرض المسرحي الذي اعتمد اصلا على الحوارات بشكل طويل وسردي وفي (بعض الاحيان) بشكل مكثف ..

ان استخدام الوسائل المتعددة للتعبير عند الممثل تتمثل على مستوى الجسد والحركة والمرونة بالاضافة الى الصوت و اللفظ للحوار عبر سلامة النطق للحوارات حتى لوكانت شعبية اي بلغة دراجة ضمن معالجة ذهنية ونفسية تمسك بالمشهد وتعطيه قوة عبر الانفعالات وبالتالي يقدم لنا شخصية متماسكة تستطيع ان تلحق في عملية جديدة يكون نموها على خشبة المسرح ضمن العلاقة الموضوعية التي تجمع الممثل مع المتفرج ...

تتحدث المسرحية في -- الاستهلال -- بدلالات الصورة والرموز (السينوغرافيا) للفنان محمد السوداني المترابطة والتي يخضع كل منها للاخر وبنفس الوقت تتضح امام المتفرج من خلال

مشهدية بصرية -- المشهد الاول -- الذي تكون من استخدام مقصود للاكسسوارات المعلقة على الجدران الخاوية وملابس متهرئه وصورة بغدادية حزينة متمثل في الديكور المنتشر على يمين ويسار ووسط المسرح --- حبال الغسيل ونشر الهموم عليها ... باب مشرعة .. شباك يحمل اسمه فقط ... اقمشة بالية . فوانيس دليل على عدم وجود الكهرباء... شحة المياه .. جدران خربة .. اوساخ نفايات صناديق فارغة تعبر عن الفراغ الكبير في الحياة العراقية ... و في زاوية اخرى (بانع الشاي) الذي يبيع خمرة الثوار-- والآخر --(بانع الكتب والمعرفة والعلم) -- صور ممتلئة بالمعاني الكبيرة وفي نفس الوقت تعبر عن واقعا ماديا مترهلا زمانا ومكانا مليء بالانفعالات , ومن جانب اخر راح يتحدث عن واقعا معاشا للحياة في بغداد وناسها الطيبين الذين يتفقد احدهم الاخر مقارنة بتلك العلاقات الانسانية التي تجمعهم مع بعضهم في الضراء والسراء ايام زمان .

ان المخرج استطاع باعتماده على توزيع هذه اللوحات الفنية المنسجمة مع ثيمة العرض المسرحي بتلاقي تلك الخطوط وتقاطعها واكد انه قادر على تشكيل هذا المناخ وتقديم هيئة منظورة اي بمعنى هناك بصرية مشهدية في فضاء المسرح (في كل مكان) على الخشبة ومن ثم استطاع ان يتقن رسمها واعدادها وهي تنتقل مع كل المشاهد المتداخلة في العرض ...



بعد ذلك يحدث التصاعد الدرامي لاحداث المسرحية ---القتل والاختطاف والدمار--- والتي يتبلور مسارها في تحديد فكرة الازواج المزرية والبحث عن افكار جديدة لربط حي لافكار المجتمع التي عكست شكل الصراعات الطاحنة والتي اعطت شكلا واضحا للبنية الدرامية .. يحدثنا عن تلك الصراعات السياسية والطائفية والعرقية والاثنية التي تدور في العراق وتحديدا في بغداد .. وراح ضحيتها مئات الالاف اوربما اكثر من ذلك ...

ينطلق النص من ان هناك رجلا فقد ابنه ضمن هذه الأحداث المعقدة والمساوية --- التي حملت الصبغة اعلاه كما اشرنا اليها --- بعد ذلك يحاول البحث عنه لتحقيق رغبة زوجته التي تصر على احضار الجثة من المشرحة والقيام بدفنها بينما هو يحاول ان يفتع نفسه والاخرين بان ولده مازال حي وعلى قيد الحياة..

تستمر الاحداث في هذا الخط الدرامي المتصاعد حتى يكاد هذا الرجل ان يصاب بصدمة عنيفه ويأس كبير من خلال استعراضه لاحوال بغداد الدمار والموت والقتل ويبدء بطرح تساؤلاته المشروعة عبر حوارات مؤثرة :

هل يمكن ان تكون هي هاي بغداد ..الخالية من الحياة والتي توقفت بها عجلة الحياة بسبب وجود السياسيين الفاشلين في ادارة البلاد ???

واحد يكول دفنت فيه... واحديكول فيه وخمسين .. ولاخ يكول يعمود مايبه حيل اعدهم اهم شي انزل المقسوم بالجيب .. اكو واحد اخر مختلف عازل نفسه ويحجي فيه روحه يكول المشكله لا 100 ولا 150 المشكله الوجبة الدفتنها اليوم جاتو اساتذه جامعيين ..

حتى يصل الى نتيجته يعتقد انها هو اشد الحالات سوءا و يحمل من خلالها المسؤولين في الدولة والنظام القائم عن هذا الدمارالذي يحدث في البلاد !!! لابل يطفح الكيل به عندما يلعنهم ويدعو من الله بان يكون المال الذي سرقوه (سم وزقنبوت) ولعنته هذه تصب على كل من سرق مال هذا الشعب وكان السبب في ازدياد عدد الارامل واليتامى والثكالى ...

وحين يلتقي بالصدفة باحد بائعي الكتب الذي يقوده الى عالم المعرفة الكوني حيث يستذكر حالات انسانية كثيرة عبر هذه الكتب ومن ضمنها يعيش حالة استذكار مع ابنه الذي فقده وايام التربية والتعليم وسهر الليالي عليه .. منذ ان كان جنينا وديعا حتى كبر واصبح شابا وتصلب عوده ... يبحث في هذه الكتب حتى يجد الحكمة التي تقوده لايجاد ابنه من خلال العقل النير الذي ينير الدرب للاخرين .. يجد الحكمة في بلاد سومر ... تلك الحضارة القديمة التي كانت تمثل قوة الحضارة وليست حضارة القوة ... حتى يعترف بانه اطلق اسم سومر او سامر على ولده تيمنا بتلك الحضارة ... التي تعني اليه اليوم العراق ... وهنا تقوم فلسفة المخرج للعمل على النص على اساس ان العراق باق ولا يموت ...حين يعمل -- بالمشهد الاخير -- على اخراج كتاب من صندوق القمامة وبالتالي يعطينا اشارة الى ان الحكمة والعقل والثقافة هي المنقذ الوحيد والخلاص من الكوارث التي تحيق بالعراق ..

اعتمد الفنان حسن علي الدبو على حرية التعبير الحركي ومد جسرا خاصا من العلاقات تتمثل بين الحواس والجسد وفتح علينا بابا رائنا فيه قدراته الفنية وهو يطل ضمن علاقة مفتوحة مع العالم الخارجي او مايدور حوله منظواهر لم يالفها الوضع العراقي من السابق ظواهر غريبة في الجوانب الاجتماعية والسياسية والاخلاقية بالاضافة الى الاقتصادية قام بنقلها مرة واخرة بالتعليق عليها اشتغل على عالم خاص مليء بالادراك والاحساس ونقل واقعا ماديا محسوسا

ملموسا يستطيع اي واحد من المتفرجين ان يدركه او يتواصل معه من خلال التاثير على منظومة الحواس...



اكّد العرض المسرحي على ان قضية المجتمع العراقي والحياة فيه ماهي الا وعاء كبير تنبثق من خلاله تلك العلاقات المختلفة المادية والانسانية والروحية سواء بالسلب او الايجاب في المد والجزر بالولادات وبالموت بالحب والكراهية في القتل والرحمة , علاقات يجد فيها الانسان العراقي ربما خارج حدود الزمان والمكان حيث المجهول من المستقبل المبهم الضبابي .

سعى المخرج في هذا العمل الى البحث عن روح الانسان العراقي وذاتها عبر تجربة فنية قدمها مع زملائه الفنانين وتحديد الممثل و الذين شاركوه من اجل الوصول الى الاشادة بالعقل والحكمة واستنطاق الواقع المرير بكل ما يحتويه من معاناة حاول قدر المستطاع توليد واقع جديد للمتفرج اي بمعنى عمل على رؤية خاصة لانتشال ما هو جديد وجيد ويستصرخ بكل قوته لكي يعيد في المجتمع الحياة بعد هذه الماساة .. ولايفوتني ان اقول ان الممثل حسن علي الدبو يمتلك طاقة غير مقيدة حاول تحريرها وباح لنا ما جاد به بشكل عفوي ومدرك بأن واحد وحاول اكثر من مرة ان يحلل ويشرح لنا القيم الفنية لدوره وشخصيته عبر ارسال خطابه المسرحي وكان مستوعبا لذلك الدور من خلال ادواته الفنية التي يتمتع بها في التعبير والتجسيد .. كان لاعبا عمل على التواصل بشكل مباشر مع الجمهور منطلقا من حواسه في فضاء المسرح...

كان لألة العود تواجد فني طيب ومثير حين كان يعزف الفنان لطيف علي الدبو ويغني الاحداث عبر صوت شجي وقصائد شعريه للشاعر سامي عبد المنعم تعبر عن حجم وعمق الماساة

العراقية لأمس أحاسيس الجمهور بمؤثراته الموسيقية وبغناء جميل وعذب .. شخص الحالة الإنسانية بشكل واضح .. الحان الاغاني ايضا كانت للفنان لطيف الدبو .

والمسرحية قدمت لنا فكرة متماسكة عبر احداثها وشخصياتها التي ناشدت عبر خطابها المجتمع الى الخلاص من هذا المازق الذي يحدث من خلال العودة الى القيم البشرية واعادة الواقع الذي دمر كما هناك خيط من الامل وهو البحث عن ايجاد بقعة ضوء رمزا لاستمرار الحياة ... والمسرحية لم تتفرد بخصوصية معينة انما هي طرحت نوع من المواضيع التي تشغل البال العراقي الان .

و اخيرا هناك ملاحظة اراها مهمة جدا لابد من الاشارة اليها ... فبعد هذا التقديم الفني الجيد لفرقة اور ولمثلها حسن الدبو تتعلق في ايقاع الممثل حيث كان الافضل له ان يزيد من الايقاع الحركي وهو ينتقل حسب ميزانسين مخصص له من مكان الى اخر بخفة ورشاقة ولايتترك فراغ ليعلق عليه المتفرج فكان في بعض الاحيان بطيء في الانتقال لان اخطاء الممثل الواحد تكون واضحة امام المتفرج لان هذا النوع من المسرح صعب جدا لذلك على الممثل ان يدرك تماما كيفية الانتقال من شخصية الى اخرى بثواني لكي لا يكون هناك قطع في عملية التوصيل للمتفرج و انا اقف باحترام الى موهبة الفنان حسن علي الدبو .. لكنني من جانب اخر ارى انه لم يعطي كل مآلديه وهو مليء ومكتنز .. اتمنى على الفنان حسن الدبو ان يراعي ذلك مستقبلا خاصة في اعمال المونودراما وهنا ملاحظتي هي تصب في عملية البناء الجيد لما يقدمه فن التمثيل او الممثل باعتباره حامل الخطاب المسرحي ... متمنيا له وفرقة اور المسرحية المزيد من الاعمال الفنية الجيدة . والسير بخطى ونيدة نحو مسرح حقيقي جاد .. علما ان فرقة اور غير مدعومة من جهة معينة انما تعتمد على امكاناتها الفردية فقط لتقديم اعمالها الفنية ..

تحية اخرى لجهودكم النبيلة المبذولة في تقديم ما هو مثير وليكون رافدا يصب في نشاط الحركة المسرحية العراقية .

ناقد - هولندا